اننا نحتقر كل ما يمت بصلة الى هذا . ابتداء من دروس التاريخ اليهودي ، مع كل الضائقات ، وحتى الاكلات والتنهدات اليهودية ، وكل ما هو ذو نطق خاص بالمنفى ، وعادات المنفى ، وباليديش بأسرها ، تلك الدعاية التي يسمونها اليديش بأنغامها والحانها ، بوجهها الذي لم تلوحه الشمس ، والتي تكشف عن أسنان مرمحة بالفضة والذهب ولعاب ذكريات من بلدتهم هناك ، وكل أقوال التوراة والحكمة الخاصة بهم ، تلك التي أحضروها من مدرسة « تريوت » الخاصة بهم ، أو من « سمنار » المعلمين في « جردونا » ، أو من أي مكان كان ... باختصار : لسنا نحب أكثر من اللازم من هو ليس ، بالضبط ، خاصاً بنا ومثلنا ومعنا » . (ص ٣٧٤ — ٣٧٥) .

وهذه المناقشة التي تدور حول الموقف من اليهودية ومن القيم الروحية المختلفة ، غالبا ما يلجأ س. يزهار الى انهائها بموقف يجعل هناك مجالا للشك في أن هذه الجمل والتعبيرات المتسائلة لا تحمل بالفعل تعبيراً دقيقا وكاملا عن المشاعر الحقيقية للمتناقشين والمتحدث نفسه كذلك .

« دين العمل ... والمستقبل »

وبالنسبة للمستقبل يضع يزهار تحت الفحص صلاحية « حركة الشباب » المحاربة . وانطلاقا من هذا فانه يناقش على لسان أبطاله فلسفة « دين العمل » ، تلك الفلسفة التي ابتدعها « أهارون دافيد جوردون » ، وكانت الشعار الذي رفعته الهجرة الثانية والثالثة لبناء الدولة اليهودية : « عن قطع الاعشاب اسأل — اهي عبودية ؟ أم حرية ؟ هل هناك أيضا تتكون العلاقة الرائعة بين الانسان والعمل ، بين الرجل والطبيعة ، علاقة حية وخصبة ، علاقة غنية وطيبة — أم أنهم يتغنون بذلك فقط في الاغاني ؟ » (ص ٧٧٠) . أما بالنسبة للمستقبل فان مقاتلي تسيكلاج كانوا يسعون من حين لآخر لنقل أفكارهم ومحادثاتهم من الماضي والحاضر الى مسألة حياتهم في المستقبل عسى ان يرفع روحهم المحطمة ويوقف نزيف دمهم ذلك الامل فيما سيأتي بعد الحرب . فرافي مثلا كل مناه هو أن يعود مع نهاية المعارك الى بيت الآباء ويأخذ زمام ادارة المزرعة التي أقامها والده . وهو يؤمن ، بأنه يستطيع بناء حياة مريحة ورغدة وأجمل في رأيه من حياة والده : « لست أعرف ما اذا كان لا بد من تقدير والدي على قوته ، ومثابرته ، وعناده ، وعلى أنه يبكر في كل يوم في بدء الحرب من حيث توقف بالامس ، كما لو كان لم يصنع شيئا على الاطلاق — تفاني أبي ، واستقامته ، وورعه الكبير ، أم .. أم انه يجب الثورة ، وعدم الموافقة ، وعدم التخلي وشن الحرب ، وبناء كل شيء على نحو آخر ؟ انني أفكر ليل نهار في هذا . مزرعة مدعمة أخرى . علاقات أخرى .. ما أجمل هذا . دون مذلة . دون بخل . دون صورة عبد مهمل ... » (ص ٣٤٧) . ولكن رغبة رافي هذه شاذة ، ورفاقه يرفضون هذا الطريق الذي يريد أن يسير فيه : « ما الذي لك هناك — قال ياكوش — ستعود وتقترب ، وستفزع : كم هي قديمة ... الحرب ؟ ما الذي يسوؤك في الحرب ؟ هل فكرت مرة : ماذا بعد الحرب ؟ هل سيكون من الممكن ببساطة محو الغم والعودة الى « امالا » ؟ فكر لحظة : هل من الممكن ؟ ان « امالا » حية وستعيش سنوات كثيرة — ولكن بالنسبة لك لم تعد هناك « امالا » بعد ... ما الذي ينتظرك ؟ والدك ؟ لكي تعمل لديه بالمجان ، لتكون له كثور معافى للعمل ؟ أم فتاة بجديلتين مع مؤخرة حمقاء ، تتحول بعد سنتين الى بقرة خالصة سمينة بلهاء ! من ينتظرك هناك؟ الآفاق الكبيرة ؟ الاعمال العظيمة ؟.. هل تعلم انني أخاف مما بعد الحرب أكثر من الحرب . ما الذي في الحرب ؟ اننا على الاكثر نموت ، نموت مرة واحدة فحسب . وهناك ؟.. ربما ، كالعادة : تبدأ في الخطف ، حتى يرتفع كرشك سريعا وتنمو بسرعة ، وتصبح مهما بصورة أسرع . وبسرعة ستتعلم كيف تتحسر ، وتتعلم كيف تتهم ، وتتعلم